

من أرب العمدة

## بين ديكى وكلبى

للشيخ حسن عبد العزيز الدالى

ديكى العزيز!

بقروش فوق الستين اشتريتك يا ديكى العزيز ، بمد بحث  
طويل عنك فى الأسواق . وما أكثر الديكة من إخوانك أيها  
الديك ، ولكن قليلاً منهم ما يشبهك . وأين من الديكة جمال  
ريشك ، وطول عرفك ، وثقل وزنك ، وخفة روحك ؟ صفات  
ما اجتمعت قبلك فى ديك . فأنت الذى كنت أبحث عنه فى  
الأسواق بذاته وعينه وخصوصيته ، حتى عثرت بك !

وعنتت بأمرك يا ديكى كل العناية ؛ فأفردت لك جناحاً خاصاً  
تسرح فيه وتمرح ، فتتنفس ريشك الأخضر الجليل ، وتنفق  
بجناحك الزاهى المدود ، وتبدل عرفك الأحمر الطويل ، وتكركر  
بصوتك الموسيقى الصاح : كُر كُر كُر ...

يبدى كنت أقدم إليك الطعام فى الأطباق الصينى فى وجبات  
منتظمة الميعاد ، شبيهة المذاق ، مغذية سائفة ، استعداداً ليومك  
المهود بمد ثلاثة أسابيع ، يوم تَزَفُ فى الصحفة الكبيرة ،  
لتكون عشاء العروسين فى ليلة الزفاف . أى شرف كنت أعدت  
لك أيها الديك ؟ ولكن ...

ليت شعرى ماذا أصابك أيها الديك ... ؟ لقد كنت فى  
زيارتك أمس بمد الغروب ورأيتك وأنت تهفز بجفنتك ونشاطك  
إلى العريش الذى اتخذته لك بيتاً عند ما يجن الظلام ... وبلى  
منكم يا معشر الديكة ؛ لا يفارقكم الزهو والخيلاء : فى النهار كرت  
وفرّ ومُجَبِّب وكبرياء ، وفى الليل لا يرضيك أن يمس جنيتك  
التراب فتأبى إلا الملاء ... ؟ بلى ، رأيتك أمس يا ديكى فى  
خفتك ونشاطك ، وعافيتك ومحتك ، وحوصلتك مملوءة ،  
وعرفك ريان ؛ فإذا دهاك فى الصباح يا ديك ؟

يا أسفاً وقد غدوت عليك لأقدم إليك الغطور بيمينى فإذا  
أنت جثة هامدة ، ملقى على الأرض ، مغفر بالتراب ، تحت السرير  
الذى ارتقيته أمس مزهواً أمام عيني !

لقد أحزنتى مرآك يا ديك على هذه الحال ، وبجوارك ذلك

١٠٠١٥

الكلب الصغير « بيتر » الذى أصفاك الود منذ حلت النار  
ما بك من جرح أيها الديك يُظن أن صديقك الأمين قد  
أحدثه بك فى ثورة طيش ، وما بك رضىً يحتمل أن يكون من  
جراة سقوطك من سرقدك فى غفوة حلم ؛ وهذا مكانك دافئ  
لا إمكان لأن ينالك فيه برد ... إذن فاذا ... ؟

لا بد من تشریح الجفنة لمعرفة سبب الوفاة . ليس فى الأمر  
جريمة على ما اعتقد وأرى ؛ أى سكتة قلبية ؟ أى ذبحة صدرية ؟  
أهو تصلب فى الشرايين ... ؟ ليتنى أعرف يا ديكى العزيز ... !  
يا للقدر ! لقد كنا نأمل أن يكون تشریحك بين العروسين  
فى ليلة الزفاف ، فكيف بطاوعى قلبى أن أبدلك منهما مبضع  
الطبيب البيطرى ... !

\*\*\*

هذا صديقك « بيتر » يهز ذيله فى حيرة ، وينكت الأرض  
برجليه فى ألم ، ويعوى من قلبه فى صوت مبحوح . ماذا يريد  
يا ترى ؟ أيطمع أن يرشدنا إلى القاتل وليس هناك جريمة ؟ أم  
يريد أن يقوم هو بعملية التشریح وتمزيق اللحم بمد ما أصبح  
الديك لا يصلح للعروسين ، أم ... أم هو يبدى الحزن على صديقه  
الفقيد ويريد أن يحفر له قبره بيده ... ؟

من يدري أى سر يتمل فى صدر هذا الحيوان ! لقد تركناه  
لحاله وما فهمنا قصده ، واتجهنا إلى هذا الفقيد تفكر فيما نصنع به ،  
وأخيراً شيعناه بنظرة وداع ، وعقدنا العزم على أن نجعله طعاماً  
لبيتر . ما أشد ظلم الإنسان للحيوان ، حتى على الموت ! لقد  
قطعنا نخد الديك فزعنا ما بها من ريش ، ثم جعلناها وجبة  
الطعام لبيتر ... ولكن ... يا عجبا ! إن بيتر يأبى أن يأكل من  
لحم صديقه الذى مات ، على شهوته وجوعه . ها هو ذا يعمد إلى  
الريش المتزوع فيجمعه بفيه ثم يغطي به هذه الفخذ المارية .  
لقد قام الكلب بواجبه ، فكفّن صديقه فى أتوابه وواراه التراب ؛  
باللوفاء ! الكلب يأبى أن يأكل لحم صديقه ميتاً وإنه  
لا يمتف أن يأكل لحم أخيه .. إن فى الكلاب لشبلاً وشهامة .. !  
لله أنت يا بيتر ، وفى ذمة الله يا ديكى !

حسن عبد العزيز الدالى

عمدة كفر ديرة القديم